وثيقة تاريخية جديدة عن معركة كتندة

د. محمد بنات*

ترتَّب على سقوط سرقسطة [1] عام 1118/512 في يد ألفونسو الأوَّل[2] الملقب بالمحارب آثاراً سيئة على كيان الدولة المرابطية التي سقطت هيبتها وضعفت قوتها ومنيت بسلسلة من الهزائم المتتالية، وعلى أثرها لحقت بالمرابطين هزيمة أخرى في موقعة كُتُنْدَة [3] Cutanda سنة 1120/514 التي شاركت فيها جموع من الجيوش المرابطية من أجل استعادة قوة الردع وتحقيق النصر واسترداد سرقسطة، فشاركت فيها جميع القوات المتمركزة في شرق الأندلس مضافاً إليها قوات منقرطبة وأخرى مساندة لها من غرناطة، غير أن الجيش المرابطي قد مُنِيَ بهزيمة أخرى تضاف إلى سجل معاركه الخاسرة، وعلى إثرها انسحب ما تبقى من الجيوش المرابطيَّة إلى ولاية بلنسية[4] بعد أن انكسروا أمام جيوش النصارى. وكان من نتائج تلك الهزيمة أن سقطت دروقة[5] (Daroca) وقلعة أيوب (Calatayud)[6] في أيدي النصارى[7].

معركة كتندة من وجهة نظر المصادر العربية:

أ- **زمن وقوعها:** اتفقت جميع المصادر[8] التي ذكرت معركة كتندة Cutanda على أنها كانت سنة أربع عشرة وخمسمائة (514/ 1120). وقد حدد عدد منها تاريخ تلك المعركة باليوم والشهر، غير أنها اختلفت فيهما، فقد ذكر القاضي عياض (1149/544) وهو أوَّل من أشار إلى تاريخ تلك الموقعة وذلك في معرض حديثه عن سنة وفاة أبي علي الصدفي[9] (1120/514) الذي كان مشاركاً فيها، فذكر أنها كانت يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الآخر [الموافق يوم الجمعة 23 يوليو 1120][10]، ويأتي ما سجله ابن بشكوال (1182/578) متفقاً مع الرواية التي ذكرها القاضي عياض في اليوم غير أنَّه اختلف معه في الشهر، فأشار أنها كانت يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الأول، [الموافق يوم الأربعاء 23 يونيو 1120] [11].

وقد سجل لنا ابن الأبار (1259/658) خمسة آراء متباينة اختلف عليها أصحاب القاضي الصدفي حول تحديد تاريخ وفاة شيخهم باليوم والشهر، لعل أوَّلها ما ذكره أبو جعفر بن الباذش[12] إذ جعلها بعد عصر الأربعاء السابع عشر من ربيع الآخر [الموافق يوم الجمعة 16 يوليو

* أستاذ مساعد في الأدب الأندلسي- قسم اللغة العربية- كلية الفنون- جامعة القدس- فلسطين.

1120]، وسجل لنا ابن الأبار في الثاني والثالث ما نقله عن القاضي عياض وابن بشكوال على نحو ما ذكرنا آنفاً، ونقل الرأي الرابع اعتماداً على ما ذكره أبو عمرو الخضر بن عبد الرحمن[13] الذي ذهب إلى أنَّ وفاة أبي علي الصدفي كانت عشيَّة يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول [الموافق يوم الخميس 17 يونيو 1120]، ويأتي الرأي الخامس أكثر دقَّة وتوضيحاً لتاريخ المعركة اعتماداً على ما نقله ابن الأبار مما كان قد كتبه أبو عبد الله بن مدرك الغساني المالقي[14] بخط يده، مسجلاً أن المعركة كانت يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الأول [الموافق يوم الجمعة 17 يونيو 1120][15].

وقد تابع المقري (1631/1041) في كتابه أزهار الرياض الآراء نفسها التي نقلها ابن الأبار سابقاً دون زيادة [16]، ولعل من المستغرب ألا يشير المقَّري في موضعين من كتابه نفح الطيب إلى التواريخ المختلفة لتلك المعركة مكتفياً بتحديد سنة وقوعها في أواخر سنة أربع عشرة وخمسمائة[17].

هذا وقد اقتصرت بعض المصادر العربية على ذكر السنة التي وقعت فيها المعركة دون إعطاء تفاصيل إضافية، ولعل أول ما يطالعنا ما ذكره ابن الأثير (1232/630) الذي حدَّد السنة -أي خمسمائة وأربع عشرة- وهي السنة التي حاصر فيها ابن رُذْمِيْر [ألفونسو الأول]– كما تسميه المصادر العربية- قرية كُتندة بالقرب من مرسية[18]، وضيَّق على أهلها، وعلى أرضها كانت المعركة التي اقتتل فيها جيشا المسلمين والنصارى قتالاً شديداً، وانتهت بهزيمة المسلمين[19]. وتابعه في ذلك ابن عذارى (1295/695) الذي اكتفى بالإشارة إلى السنة دون ذكر اليوم والشهر، فذهب إلى تأكيد وقوعها سنة خمسمائة وأربع عشرة، وفيها كانت هزيمة ساحقة للمسلمين[20].

وإذا ما تناولنا الحديث عن موقف الذهبي (1347/748) إزاء وفاة الصدفي في موقعة كتندة، فقد أشار إلى ذلك في موضعين من كتبه، كان الموضع الأول في كتابه تاريخ الإسلام الذي ذكر فيه اليوم والشهر والسنة، فذهب إلى أنَّ الصدفي قد قضى يوم الرابع والعشرين من ربيع الأول [الموافق يوم الأربعاء 23 يونيو 1120][21]. أمَّا الموضع الثاني فاكتفى بالإشارة إلى السنة التي حدثت فيها المعركة[22]. وقد نقل الذهبي (1347/748) الخبر نفسه في كتابه سير أعلام النبلاء مقتصراً على ذكر السنة مشيراً إلى أنَّ سقوط كتندة كان أواخر سنة أربع عشرة وخمسمائة[23]. وينتهي بنا الحديث عند تسجيل ما ذكره ابن العماد الحنبلي (1678/1089) في معرض حديثه عن

موقعة كتندة ووفاة أبي علي الصَّدفي ذاكراً الشهر والسنة، فذهب إلى أن ذلك كان في شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمسمائة[24].

بعد أن قام الباحث باستعراض التواريخ المختلفة التي أرَّخت للمعركة فإننا نتفق مع الرّواية القائلة بأن المعركة كانت في شهر ربيع الأول [يونيو] وعمدتنا في ذلك مسألتان، الأولى تتصل بتأكيد ابن الأبار على روايته التي ذكرها عقب استعراضه للتواريخ المختلفة لزمن وقوع المعركة، فجاء قوله: "من شهر ربيع الأول، وهو الأصحّ"[25] دليلاً قاطعاً على أنها وقعت في شهر ربيع الأوَّل. وتتصل المسألة الثانية بالسياق ذاته اعتماداً على الرواية الأخرى التي نقلها ابن الأبار مما كتب أبو عبد الله محمد بن مدرك الغسَّانيّ بخط يده في أن المعركة كانت في شهر ربيع الأول على نحو ما ذكرنا، وهذا دليل قاطع على صدقه- أعني ابن الأبار- في الأمانة والنقل عن أحد أصحاب أبي علي الصدفي الذين وقع الخلاف بينهم حول تحديد وفاة شيخهم، والذي يزيد الأمر تأكيداً في أن المعركة كانت في شهر ربيع الأول لا الثاني ما وجدناه في بعض المصادر التي أشارت إلى أن الجيش المرابطي فرَّ هارباً إلى بلنسية في العشرين من ربيع الأول [يوم السبت الموافق 18 يونيو][26].

وعند مراجعة التقويم الذي وضعه Ubieto Artur للتواريخ الهجرية وما يقابلها بالميلادية نجد أنَّ الإشكالية تكمن في الاختلاف في فارق يقدَّر بيوم واحد إذ يصادف يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول [الموافق 16 يونيو 1120]، في حين أن يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الأول يصادف يوم الجمعة [الموافق 18 يونيو 1120] لا الخميس حسبما ذكر المؤرخون القدماء في كتبهم[27].

ب- **أحداثها ونتائجها:** تصمت المصادر العربية عن ذكر ما رافق هذه المعركة من تفصيلات دقيقة لمجريات الأحداث وبخاصة ما كان من حديث عن خطة المعركة وسير القتال فيها، فكل ما وصل إلينا لا يعدو عن كونه نتفاً قليلة لا تقدم لنا إضاءات نستطيع من خلالها استجلاء حقيقة الموقف تماشياً مع ما جاء في الوثيقة التاريخية التي عثرنا عليها، وهي اليوم تعد من أقدم الوثائق التاريخية، كونها تشير إلى أخبار مهمة لا نجدها في معظم المصادر التاريخية التي وصلت إلينا. ولعل من بين الإشارات العابرة لبعض أحداث موقعة كتندة ما ردَّده المؤرخون في كتبهم ذلك الخبر الذي نقله الذهبي عن نزول ابن رذمير [ألفونسو الأول] على كتندة ومحاصرته لها وذلك بعد سقوط سرقسطة بنحو عامين، أي في أواخر سنة أربع عشرة وخمسمائة، فقصده عبد الله ابن حيونة[28] في جيش لصده غير أنه لم يفلح[29]، ونقل الذهبي خبراً آخر يتصل بالحدث نفسه عن انهزام المسلمين أمام

ابن رذمير [ألفونسو الأول] أثناء محاصرته لكتندة، فلمَّا علم بقدوم جيش المسلمين برز لهم وطلب منهم المنازلة والوقوف للحرب، فما لبثوا أن انهزموا[30].

ونقرأ خبراً آخر يتصل بالمعركة نقلناه عن ابن الأثير (1232/630) الذي ذكر لنا خبر خروج ابن رذمير [ألفونسو المحارب] لمحاصرة كتندة والتضييق على أهلها، الأمر الذي دفع بالأمير علي بن يوسف بن تاشفين[31] بإعداد جيش كبير من الجند والمتطوعة، وأمر بتسييرهم للقاء ابن رذمير ومقاتلته، فالتقوا في ذلك الموضع أعني- كتندة- واقتتلوا أشد القتال[32]. وحسبما تشير إليه رواية ابن الأثير فإنَّ الأمير علي بن يوسف بن تاشفين كان متواجداً في قرطبة، وهو الذي تولى قيادة الجيش في المعركة، والحقيقة أن هذا ضرب من الوهم، ولا نعرف من أين استقى ذلك الخبر، إذ كان علي بن يوسف بن تاشفين متواجداً في المغرب قبل أن يعبر إلى الأندلس من جديد[33]. والحقيقة أن جيش الإسناد القرطبي المشارك في المعركة كان على رأسه والي قرطبة أبو يحيى بن زيادة. ولعل من الضروري الإشارة إلى أن الذهبي وابن الأثير يخطئان في جعل كتندة من إقليم مرسية، والحقيقة أنها تقع على مقربة من دروقة التي تتبع جغرافياً لمدينة سرقسطة.

لا عجب والحالة هذه أن تكون المصادر الأندلسية [34] أكثر وثوقاً من المصادر العربية المشرقية في تناول وقعة كتندة بسبب القرب المكاني والزماني، فقد أجمعت على أنَّ الأمير إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين[35] هو الذي تولى قيادة الجيوش المشاركة في المعركة إذ كان آنذاك والياً على إشبيلية.

وعند قراءة المصادر الحديثة نجد تلخيصاً موجزاً لسير الأحداث عقب سقوط سرقسطة إذ توجه ألفونسو المحارب زاحفاً نحو افتتاح بقية الحصون والقلاع، الأمر الذي دفع بالأمير علي بن يوسف بن تاشفين بالكتابة لأخيه إبراهيم وبعض الولاة بضرورة إعداد الجيوش وحشد الجموع استعداداً لمواجهة ألفونسو واستعادة سرقسطة، فكتب إلى ولاة قرطبة وغرناطة ومرسية، وبعث رسائل أخرى إلى جماعة أخرى من الولاة والرؤساء والقادة ليعدوا العدة استعداداً للمواجهة مع ابن رذمير [ألفونسو المحارب] على أن يتولى قيادة الجيش أخوه الأمير أبو إسحق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين[36].

كانت نتيجة المعركة قاتلة بالنسبة للجيوش المرابطية التي سقطت هيبتها العسكرية، ولعلنا نقرأ فيما قاله أبو بكر بن العربي[37] الذي فرَّ هارباً مؤثراً النجاة بحياته لحظة وصوله إلى بلنسية كما ذكرت بعض المصادر[38]، فلخَّص لنا بعبارة موجزة حقيقة الخسارة الفادحة والهزيمة النكراء والمصيبة العظيمة التي لحقت بالمرابطين، عندما سأله أحدهم عن كيفية نجاته وتخلُّصه من المعركة،

فقال: "حال من ترك الخباء والعباء". وهذا المثل من الأمثال المشهورة عند المغاربة التي تعبر عمن حلت به مصيبة أو كارثة حتى سلبته جميع ما لديه، بما في ذلك من الثياب التي يلبسها والخيام التي يسكنها ويستتر بها.

وقد جاءت الأخبار المنقولة متفاوتة في تناولها لحجم الخسارة، وإن كانت تعبر في حقيقتها عن هول الفاجعة وحجم الكارثة، فنلحظ في بعضها شيئاً من المبالغة، وفي البعض الآخر نوعاً من الأمانة في النقل، وهذا ليس بمستغرب إذا ما عرفنا أن نقل الأخبار في ذلك الزَّمان جاء معتمداً بالدَّرجة الأولى على الرواية الشفوية التي يكتنفها التهويل والمبالغة إلى حد بعيد في أغلب الأحيان، يضاف إلى ذلك أن بعض المؤرخين كان قد اهتم بتسجيل الأحداث التاريخية بعد فترة طويلة من تاريخ وقوع المعركة الأمر الذي يدفع إلى التشكيك فيما كان قد نقله أو سمعه أو قرأه.

وحقيق بنا أن نشير في السياق ذاته أن بعض المؤرخين وبخاصة المشارقة منهم ممن دونوا في كتبهم نتفاً من أخبار هذه الموقعة قد وقعوا في الخطأ والخلط في نقل تلك الأخبار وتدوينها؛ لأنهم أصلاً لم يعاينوا الأحداث من قريب، إنما كان اعتمادهم في تسجيلهم الأحداث وتأريخها على الرواية المتناقلة عن أكثر من شخص الأمر الذي يفقدها الكثير من المصداقية في بعض المواطن، ومردُّ ذلك كله إلى النسيان، ذلك الداء الذي تصاب به ذاكرة ناقل ذلك الخبر، فكثيراً ما ينسى أحداثاً هامة، فيلجأ إلى المبالغة والزيادة على الخبر الذي ينقله على نحو ما وجدناه في المصادر العربية القديمة منها والحديثة التي وقعت في الخلط والخطأ في نقل ما آلت إليه المعركة من نتائج وإن كانت جميعها قد اتفقت على انهزام المسلمين في معركة كتندة.

ببيان موجز نستطيع تلخيص نتائج المعركة في النقاط التالية:

- سقوط هيبة المرابطين، وتمكن ألفونسو المحارب من الاستيلاء على قلعتي دروقة (Daroca) وأيوب (Calatayud).
- كثرة القتلى في صفوف الجيش المرابطي وبخاصة المتطوعة منهم.
- فرار ما تبقي من الجيش المرابطي إلى بلنسية.

كانت تلك أبرز النتائج التي تمخضت عنها المعركة، وسنرى لاحقاً كيف تباينت بعض المصادر العربية القديمة في الإشارة إلى نتائجها وبخاصة اختلافها حول عدد القتلى. أمَّا رواية ابن الأثير فتشير إلى كثرة القتلى في صفوف جيش المرابطين دون حصر ذلك في رقم محدد، فاكتفى بالإشارة إلى ذلك بقوله: "وكثر القتل في المسلمين"[(39)]. وفي الخبر الذي نقلناه عن ابن الأبار الذي أشار إلى أنَّ

عدد القتلى من متطوعي في الجيش المرابطي بلغ عشرين ألفاً، منوهاً في الوقت نفسه أنه لم يقتل في المعركة أحد من العسكر[40]. ونقل ابن عذارى الخبر نفسه الذي كان قد استقاه عن ابن القطان[41] الذي ذكر أنه قتل في معركة كتندة نحو عشرين ألفاً[42].

وقد تابع المقَّري من سبقه من المؤرخين، فردد ما ذكره ابن الأبار كما أوردناه سابقاً في موضعه[43]. أمَّا الذهبي فلم يحصر عدد القتلى في رقم دقيق مكتفياً بذكر عبارة عامَّة تشير إلى موت "خَلْق كثير"[44]، غير أنه- أي الذهبي- يختلف عن غيره من المؤرخين في الزيادة في التفصيل، مشيراً إلى وقوع كثير من المشاركين في المعركة بين قتيل وأسير، ذاكراً أن ابن رذمير [ألفونسو المحارب] قد بنى على القتلى قبوراً، ثم سُلِّمَ البلد إليه[45]. فهذا الخبر لم يذكره المؤرخون الأقرب زمنياً لتسجيل الأحداث كالقاضي عياض وابن بشكوال وابن الأبار.

وقد نوّهت الرواية المذكورة في المصادر التاريخية العربية إلى نوع خاص من الذين استشهدوا في تلك المعركة من العلماء والفقهاء وفي مقدمتهم أبو علي الصدفي، وابن الفراء [46]، ونلاحظ من خلال استعراضنا لهذه المعركة في المصادر السابقة أن أبا بكر بن العربي كان ممن حضرها [47]، وقد كتبت له فيها السلامة والنجاة.

ومن الأخبار التي استقيناها من بعض المصادر العربية عقب انتهاء المعركة انسحاب الجيش المرابطي مفلولاً إلى بلنسية في العشرين من ربيع الأول الموافق [يوم السبت 18 يونيو][48]، وعلى إثر ذلك تمكن [ألفونسو المحارب] من الاستيلاء على قلعتي دروقة (Daroca) وأيوب (Calatayud)[49].

معركة كتندة من وجهة نظر المصادر المسيحية:

أ- **زمن وقوعها:** وقعت المصادر المسيحية هي الأخرى في حالة من التخبط والخلط أسوة بسابقاتها من المصادر العربية في إشارتها إلى تاريخ المعركة، لا بل كان تركيز المصادر المسيحية منصباً على الرواية المتعلقة بنتيجة المعركة ورسم بعض أحداثها التي جاءت على شكل إشارات متناثرة مع إغفالها عن سنة وقوعها، ولهذا تباينت آراؤها واضطربت في الإشارة إلى تاريخ حدوث المعركة، وأغفل بعضها الإشارة إلى ذلك، في حين اتفق بعضها مع ما ورد في المصادر العربية في ذكر التاريخ الصحيح للمعركة. ولعلنا نقرأ في الانتقاد الذي وجهه المستشرق Codera لتلك المصادر التي تناولت الحديث عن معركة كتندة ما يؤيد ذلك، فقد لام أولئك المؤرخين والمؤلفين التي تجاهلوا تماماً ذكر تاريخ المعركة من جهة، وتجاهلوا ذكر ما أحاط بها من تفاصيل أكثر أهميَّة، لذا اكتنف الغموض

الكثير من التفاصيل المرتبطة بأحداث المعركة التي قدَّموها لنا على هيئة صورة جزئية، وقد جاءت أكثر التفاصيل المكتوبة بأقلام أولئك المؤرخين متركزاً على ذكر الأخبار الدقيقة التي تتصل بنتيجة المعركة وذلك النصر العظيم الذي حققه ألفونسو المحارب على جيش المرابطين[50].

ومن خلال قراءة المقالة التي كتبها Alberto Cañada Juste حول معركة كتندة نجد أنَّ أقدم المصادر التاريخية فرنسي الأصل (La Chronique de Saint-Maixent) الذي يعود تاريخ كتابته إلى العام 1141، وبالتالي فإنه أقرب المصادر زمنياً في تسجيله لأحداث المعركة إذ يأتي مضي إحدى وعشرين سنة من تاريخ وقوعها. وقد ورد في ذلك المصدر أنَّ معركة كتندة وقعت في السابع عشر من يونيو في العام 1120[51]. وهذا التاريخ يتطابق مع الرواية التي وردت في بعض المصادر العربية والتي أكد على صحتها ابن الأبار على نحو ما ذكرنا في موضع سابق من هذه المقالة.

وفي إشارة Alberto Cañada Juste إلى مصدر آخر من المصادر القريبة لأحداث المعركة والمعاصرة لها (Los Anales Toledanos)، ففي تسجيله لحوادث سنة 1121 ما يشير إلى أن المعركة وقعت في تلك السنة، وقد رجح Alberto Cañada Juste بأن يكون ذلك المصدر قد كتب قبل سنة 1219 [52]. وهو بهذا يترك الأمر معلقاً دون الجزم بصحة ما يقول، وبالتالي فإن مدة المائة سنة التي تفصل بين زمن وقوع المعركة وترتيب تدوين الأخبار والحوادث وترتيبها زمنياً كافية بأن يكون فيها مجال للتشكيك، وبناء عليه فمن غير المعقول أن يقع المصدر Los Anales Toledanos وهو الأقرب زمنياً لأحداث المعركة في الخطأ في الإشارة إلى تاريخها الصحيح على أقلّ تقدير.

وجاء Julio Porres ليصحح الخطأ الذي وقعت فيه Los Anales Toledanos فأشار بداية إلى المعركة كانت في السابع عشر أو الثامن عشر من يونيو من سنة 1120، لا كما ذكر ذلك المصدر في إشارته أنها كانت سنة 1121[53]. وبناء عليه فإن التاريخ الذي ذكره Julio Porres يتطابق مع بعض التواريخ الصحيحة التي وردت في المصادر العربية على نحو ما بينا آنفاً.

ونجد بعض المصادر المسيحية التي حددت المعركة بالشهر والسنة دون ذكر اليوم، ففي حديث Jacinto Bosch Vilá عن معركة كتندة أشار إلى ذلك بشيء من التشكيك والتردد دون الجزم في تحديد الشهر التي حدثت فيه، فذكر أنها وقعت في شهر يونيو أو يوليو من سنة 1120 [54]ومن بين المصادر المسيحية القديمة التي أغفلت الإشارة إلى تاريخ المعركة (La Crónica de San Juan de la

(Peña الذي يعود تاريخ كتابته إلى الأعوام 1369 و1372، و La Crónica de los Estados Peninsulares) الذي يعود تاريخ تأليفه إلى سنة 1305[55].

ب- **أحداثها ونتائجها:** تلتقي المصادر المسيحية مع المصادر العربية في صمتها وتناولها الموجز لأحداث المعركة، إلا أنها تفترق عن الأخيرة في زيادة بعض التفصيلات المرويَّة التي سنعرض لها لاحقاً، ومن الجدير بالملاحظة التي لمسناها بعد البحث المعمق في المصادر المتاحة التي تناولت الحديث عن المعركة، نجد أن هناك خلطاً في مسألة تتعلق برواية الأحداث، ففي الوقت الذي تلتقي فيه المصادر العربية في إجماعها على رواية تتصل بمحاصرة ألفونسو لكتندة أوَّلاً، في حين أن الرواية الموجودة في المصادر المسيحية تنافي ذلك الخبر، بل تجمع في تأكيدها على محاصرته أوَّلاً لقلعة أيوب (Calatayud) قبل أن يلتقي الجيشان في ساحة القتال القريبة من ريف كتندة.

وحسب الروايات المعتمدة في المصادر المسيحية نلحظ تتفاوتاً في طريقة عرضها وتناولها لما رافق المعركة من أحداث، وشيء طبيعي ألا يكون هناك إجماع فيما بينها وإن كانت تلتقي في سرد بعض الأحداث الجزئية، وهذا ما لمسناه في المقالة التي كتبها Alberto Cañada Juste، ففي أوَّل إشارة له نبَّه إلى الخلط الذي وقع فيه[56] (Jerónimo Zurita) إذ التبس عليه الأمر بين مسألتين: الأولىتتعلق بسقوط سرقسطة في العام 1118، والثانية تتصل بهزيمة الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وكان (Jerónimo Zurita) قد أكَّد خروج ألفونسو المحارب لملاقاة الأمير إبراهيم طالباً القتال معه، الأمر الذي أدى إلى ذبح الكثير من المسلمين بالسكاكين، ووقع الكثيرون منهم في الأسر. وفي سياق عرض القصص والروايات التي تخبرنا بها المصادر المسيحية، فإن المعركة قد وقعت في ريف كتندة بالقرب من دروقة، ومن الملفت للنظر في سياق الأحداث انفراد الكاتب بذكر خبرين جديدين لم نعثر عليهما في المصادر العربية: الأول يتناول الرواية القائلة بأن ابن الخليفة الموحدي الناصر لدين الله محمد بن المنصور كما تسميه المصادر النصرانية [57] (Miramamolín) مات مقتولاً في أرض المعركة، وهذا الخبر لا نجد له ذكراً في المصادر العربية التي وقفنا عليها، كما أنَّه يتعارض مع الحقائق التاريخية إذ أننا نتحدث في هذه الجزئية من المقالة عن معركة تتصل بزمن المرابطين لا الموحدين، ولا ندري لماذا تأتي المصادر المسيحية على ذكر الخليفة الموحدي الرابع، ومرد هذا في رأينا ناجم عن الخلط بين موقعة العقاب، ومعركة كتندة. أما الخبر الثاني فيتصل بالإشارة إلى مشاركة[58] (El Conde Guillermo de Poitiers) في المعركة بقوة إسناد لجيش ألفونسو المحارب قدرها ستمائة فارس[59].

وقد تحدث Alberto Cañada Juste عن مصدرين هامين من المصادر المسيحية التي سجلت بعضاً من أخبار وقيعة كتندة، مشيراً إلى أنَّ هذين المصدرين يتفقان في نقل الخبر نفسه دون زيادة أو نقصان وهما: (La Crónica de San Juan de la Peña) و (La Crónica de los Estados Peninsulares). ويتلخص الحديث في كلا المصدرين عن انتصار ألفونسو المحارب في المعركة، مع الإشارة إلى فضل Conde Guillermo de Poitiers في مساعدة ألفونسو في تلك الوقعة وإمداده بقوة من الفرسان قوامها ستمائة فارس. وقد نوه المصدران إلى مقتل ابن الخليفة الناصر لدين الله محمد بن المنصور على نحو ما ورد في المصدر السابق، والزيادة الجديدة التي وردت في هذين المصدرين تتعلق بالإشارة إلى صورة المعركة التي ارتبطت بالذاكرة الشعبية لدى النصارى، فكانت أشبه ما تكون بمذبحة أزهقت فيها أرواح أعداد كبيرة من المسلمين إذ أنَّ عدد القتلى يفوت العدَّ والإحصاء، وكلما جرى الحديث عن ذكر المعارك ذكروا بأنه لا توجد معركة أقبح مما وقع في كتندة بسبب كثرة القتلى(60).

وفيما يتعلق بالرواية الواردة في المصدر الفرنسي (La Chronique de Saint-Maixent) وهو الأقرب زمنياً لتسجيل مجريات الأمور كما بينا في موضع سابق، فإنها تكشف عن معلومات جديدة أكثر زيادة ودقة مما ورد في المصادر السابقة، فبالإضافة إلى ترديده للقول المتواتر عن مساندة (El Conde Guillermo de Poitiers) للفونسو المحارب في قتاله لإبراهيم ابن يوسف بن تاشفين، يذكر لنا نبأ مشاركة أربعة ملوك آخرين في تلك المعركة غير أنه لا يأتي على ذكر أسمائهم، وبالإضافة إلى ذكر نتيجة المعركة التي حقق فيها النصارى النصر على جيوش المرابطين، فإنَّ هذا المصدر يعتبر أكثرها دقة إذ ينفرد عن غيره من المصادر المسيحية السابقة في تقدير عدد القتلى في صفوف المسلمين إذ قدَّرهم بخمسة عشر ألفا، ومن بين النتائج التي ذكرها أنهم – أي النصارى- أسروا الكثيرين من أفراد الجيش المرابطي، كما أنهم أخذوا ألفي جَمَلٍ وبهائم أخرى لا يوقف لها على عدد، وسقطت في أيديهم بعض الحصون والقلاع(61).

وفي إشارة عابرة Julio Porres الذي أهمل الحديث عن ذكر أي من التفاصيل الجزئية لأحداث المعركة، مكتفياً بالإشارة الموجزة لنتيجة المعركة التي تأكدت فيها هزيمة المرابطين. وقد أمدنا Julio Porres بمعلومة دقيقة حول تاريخ استيلاء ألفونسو المحارب على قلعة أيوب (Calatayud) وقد جعل ذلك في الرابع والعشرين من يونيو سنة 1120 وبعد ذلك بفترة وجيزة تمكن من السيطرة على دروقة(62).

وفي معرض حديث Jacinto Bosch Vilá عن أحداث معركة ذكره بأنَّه كان واجباً على الأمير إبراهيم بن تاشفين الخروج من مرسية بناء على الأوامر التي تلقاها من أخيه علي بن يوسف ابن تاشفين لملاقاة جيش ألفونسو الذي حاصر قلعة أيوب (Calatayud)، وكان قد توغل حتى وصل إلى كتندة إلى الجنوب الشرقي من دروقة، وذكر بأنه انضم إلى الجيش المرابطي أعداد كبيرة من المتطوعين الأندلسيين، وقد حدد المكان الذي دارت فيه المعركة الدموية بين الجيشين المتلاحمين في المنطقة الواقعة بين كتندة ووادي كالاموتشا (Calamocha)، وقد ذكر Jacinto Bosch Vilá بأن قلعة أيوب (Calatayud) قد سقطت في يدي ألفونسو في العام 1121 [63]. وبهذا يكون قد خالف ما ذكره Julio Porres الذي أشار إلى أن سقوطها كان في العام 1120. تجدر الإشارة إلى أن Jacinto Bosch Vilá يخطئ في الإشارة أن إبراهيم بن يوسف بن تاشفين كان والياً على مرسية ومنها كان خروجه لقتال ألفونسو المحارب وكنا قد بينا صحة ذلك في موضعه من هذه المقالة.

مجمل القول: تلتقي المصادر العربية والمسيحية في روايتها لبعض الأمور وتفترق في بعضها الآخر، وإن كان يغلب عليهما طابع الغموض في سرد بعض الأحداث التفصيلية للمعركة، والتي هي بحاجة إلى توضيح أكثر. إضافة إلى ذلك فإن المصادر العربية والمسيحية قد ركزت على نتيجة المعركة دون الخوض في تفاصيل سيرها وما رافقها من أحداث، ويمكن تلخيص أهم الفوارق بين المصادر الآنفة الذكر بالنقاط التالية:

- ثمة اختلاف بين المصادر حول تحديد موقع المعركة، والإرهاصات التي سبقتها، ومهدت لحدوثها، كما بينا ذلك في موضعه من هذه المقالة.

- تلتقي المصادر العربية والمسيحية في مسألة استيلاء ألفونسو على قلعتي أيوب ودروقة عقب انتهاء معركة كتندة، وإن كانتا تختلفان في تحديد السنة.

- تفترق المصادر في ذكرها لأحداث المعركة ونتائجها، وبخاصة ما جاء منها حول تقدير عدد القتلى في صفوف المسلمين، في حين تسكت الرواية المسيحية عن الإشارة إلى عدد القتلى في صفوف جيش ألفونسو.

- لا تشير المصادر المسيحية إلى انهزام جيش المرابطين عقب انتهاء المعركة وفراره إلى بلنسية.

- تفترق المصادر العربية والمسيحية في إشارتها إلى تحديد تاريخ المعركة، وإن كانت تتفق بعضها في الإشارة إلى ذلك على نحو ما بيّنا في هذه الجزئية من المقالة، وقد أكدنا غير مرة أنّ تاريخ المعركة يعود إلى السّابع عشر من يوليو سنة 1120 بناء على ما وجدناه في المصادر منها العربية والمسيحية.

تحليل الرسالة: خلال عملنا بحثنا في المخطوطات المحفوظ في مكتبة دير الأسكوريال تحت رقم (296) أدب، عثرنا في آخر المخطوط على رسالة مبتورة لا تمتّ إلى متن المخطوط بصلة، ويبدو أن مالك المخطوط كان شخصية مهمة، ولذلك أثبتها في نهاية النسخة التي يملكها لذلك الكتاب، ومن خلال النظر في مضمون الرسالة، لاحظنا ما تتسم به من قيمة نفسية إذ كشفت جانباً من الحجب المظلمة التي اكتنفت تلك المعركة، ولهذا فأنها تعدُّ من أقدم الوثائق التاريخية التي وصلت إلينا، وهي تلقي ضوءاً على جانب من الجوانب التاريخية الغامضة لمعركة كتندة وما رافقها من أحداث لم نعثر عليها في المصادر المطبوعة التي تحدثت عن المعركة باقتضاب، وعند إنعام النظر في الرسالة نجد الآتي:

- تاريخ المعركة 19 ربيع الأول سنة 514 هـ [الموافق يوم 17 حزيران يونيو عام 1120].
- تاريخ الرسالة 11 ربيع الثاني سنة 514 هـ [الموافق 10 يوليو عام 1120].

صاحب الرسالة عبد الله بن شبل الذي لم نعثر له على ترجمة في أي من المصادر التاريخية والأدبية هو أقرب الأشخاص تأريخاً وتسجيلاً للأحداث، فالفترة الزمنية بينه وبين القاضي عياض الذي يعدُّ أول ناقل لأخبار هذه المعركة في المصادر العربية حوالي ثلاثين سنة. وعند إنعام النظر في الخبر الذي نقله القاضي عياض عن تاريخ المعركة كما أشرنا سابقاً في موضعه؛ فإنه يخطئ في الشهر الذي حدثت فيه إذ جعله ربيع الثاني، وقد جاء ابن بشكوال من بعده بأربع وثلاثين سنة، وابن الأبار الذي جاء بعد القاضي عياض بمئة وأربع عشرة سنة ليصححا الخطأ الذي وقع فيه القاضي عياض، فأشارا أنها وقعت في شهر ربيع الأول.

والرسالة التاريخية المنقولة عن المخطوط الأسكوريالي رقم 296 يعود تاريخ كتابتها إلى يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر سنة خمسمائة وأربع عشرة، الموافق [يوم السبت 10 يوليو 1120]، أي أنها تأتي بعد عشرين يوماً فقط من انتهاء المعركة، ولهذا تعد أقدم وثيقة تاريخية وصلت إلينا، وإليك نص هذه الوثيقة:

[بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيْم] وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الكَرِيْم وَسَلِّم تَسْلِيْمَا

مُرْشِدِي الأَعْلَى وُمُعْتَمَدِيَ الأَسْمَى، وَذُخْر أَمْرِيَ الأَسْنَى وَفَائِدَة زَمَنِي الحُسْنَى، وَوَلِّي فِي اللهِ الأَمْر الأَوْفَى، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللهُ غَيْرَ مَفْزُوعَ السَّمْعِ بِحَادِثَةٍ وَلَا مُرَوَّع النَّفْسِ بِكَارِثَة، بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَمِنَّتِهِ.

أَعَزَّكَ اللهُ وَأَدَامَ كَرَامَتَكَ بِتَقْوَاهُ يَوْم الجُمُعَة لِعَشْرٍ خَلَوْنَ لِرَبِيْعٍ الآخِرِ سَنَةَ أَرْبَع عَشْرَة وَخَمْسِ مَائَة، وَقَدْ وَافَانِي كِتَابُكَ الكَرِيْم، وَرَأَيْتُ مَا ضَمَّنْتَه مِنْ ودِّكَ السَّلِيْم، وَعَهْدِكَ الثَّابتِ المُقِيْم، وَلا امْتِرَاءَ عِنْدِي- أَعَزَّكَ اللهُ- فِي صِحَّةِ وَلائِكَ، وَخُلُوص إِخَائِكَ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ المُقَدَّمُ فِي خَلَدِي، المُدَّخَرُ لأَبَدِي، المُعَدُّ لِيَوْمِي وَغَدِي، كَمَا يَعْلَمُ- جَلَّ وَتَعَالَى- تَعْظِيْمِي لَكَ وَإِجْلالِي لِقَدْرِكَ، بِنِيَّتِي وَمُعْتَقَدِي لا ربَّ غَيْرُه.

وَرَأَيْتُ- أَعَزَّكَ اللهُ- مَا أُشْهِدُ اللهَ مِنْ هَذِهِ الأَنْبَاء العَامَّة، وَعَلِمَ اللهُ أَنِّي لَمْ أُضِعْ مِنْ إِعْلامِكَ لأَوَّلِ طُرُوئِهَا، وإخبارك بما أَغفَلْتُ لأريك، فَإِنِّي أَنْفَذْتُ إِلَيْكَ فِي اليَوْمِ الذِي وَرَدَتْنِي فِيْهِ كِتَابَا صَحِبَه فَتَىً مِنْ جِهَتِي حَتَّى يُعْرَف بِأَمِيْن المُبقي نِدَاء وَصَلَ إِلَيَّ بِخَطَابِكَ يَشْفع. لِذَا ضَمَّنْتُهُ بَعْضَ مَا اتَّصَلَ بِيَ مِنْ هَذِه الأَنْبَاء.

وَالأَمْرُ- أَعَزَّكَ اللهُ- عَلَى مَا اسْتَفَاضَ، لا امْتِرَاءَ فِي أَنَّ المُسْلِمِيْنَ انْكَسَرُوا فِيْهَا، فَسَبَقَ بِي عِلْمُ اللهِ دُوْنَ مُوَافَقَةٍ وَلا مُسَابَقَةٍ إِلَّا مَا يُذْكَرُ مِنْ مُنَاشَبَةِ صَاحِبِ مُرْسِيَة -أَعَزَّهُ اللهُ- لأَوَائِلِ خَيْلِ العَدُوِّ قَصَمَهُ اللهُ، فَإِنَّهُ ثَبَتَ وَالخَيْلُ مُنْهَزِمَة، وَالهِمَمُ عَنْ لِقَاءِ العَدُوِّ مُحْتَجِمة، حَتَّى انْكَفَتْ فَوَلَّى مَعَ الكُلُوَ أَدْبَرَ فِي مُجملَةِ القُلِّ، وَأُسْلِمَتُ المَحَلَّةُ بِجَمِيْعِ مَا فِيْهَا، فَأَتَى النَّهْبُ عَلَى أَكْثَرِهَا وَعَلَى جُمْلَةٍ مِنْ دَوَابِّ الحِمْلِ، وَمَاتَ فِي تِلْكَ الوَقْعَةِ كُلُّ مَنْ أَصَابَتْهُ خَيْل العَدُوّ فِي صُدُورِهَا، وَقَابَلَتْهُ فِي نُحُورِهَا، وَلَكِنْ كَانَتِ النِّعْمَةُ العُظْمَى فِي انْشِغَالِ العَدُوِّ فِي السَّلْب، وَلَمْ يُمْعِنُوا فِي الإِتِّبَاعِ وَالطَّلَب. فَوَقَى اللهُ خَيْلَ المُسْلِمِيْنَ، وَسَلِمَ أُمَرَاءُ المُرَابِطِيْنَ، وَبِالجُمْلَةِ فَلَمْيُؤْتُوا مِنْ قِلَّةِ عَدَد، ولا مِنْ ضَعْفِ مَدَد، وَلَكِنْ سَاءَت التَّدابِيْرُ وَسَبَقَتِ المَقَادِيْرُ، وَكَفَى هُوَ اللهُ تَعَالَى تَسْلِيْمَا{إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ}(64). وَأَعْلَمَنِي الفَقِيْهُ أَبُو بَكْرٍ ابنِ العَرَبِيّ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْنَا أَنَّ الفَقِيْهَيْنِ الزَّاهِدَيْنِ أَبَا عَلِيٍّ وَأَبَا عَبْدِ اللهِ فُقِدَا فِي تِلْكَ الجَوْلَةِ، واختلف [...] وأبي علي [...] الله يومها، وَأَيًّا مَا كَانَ فَمُصَابٌ عَظِيْمٌ وَخَطْبٌ جَسِيْمٌ [...]، والأمير أبو إسحق [...].

يمكن تلخيص مضمون الرسالة في النقاط التالية:

1- الرسالة التي كتبها عبد الله بن شبل لأحد الأشخاص الذي لم يأت على التصريح بذكر اسمه، ومن خلال قراءة مضمون الرسالة فمن المرجح أنَّ هذه الرسالة وجهت إلى شخص ذي مكانة مرموقة إذ كان من المتعاطين بالسياسة، ولهذا صاغها صاحبها في أسلوب لطيف حرص من خلاله في بداية الرسالة على تضمينها عبارات الود والإخاء والتأكيد على الصداقة والعلاقة الطيبة مع ذلك الصديق الذي كان حريصاً على التواصل معه بخصوص أحداث المعركة.

2- يكشف الكاتب في رسالته لصديقه أنه أرسل له في اليوم الذي تلقى فيه رسالته الاستفسارية ردَّاً مكتوباً ضمَّنه ما كان قد وصل إليه من أخبار المعركة – أعني معركة كتندة- ليطلعه على مجريات الأمور، وكان قد بعث تلك الرسالة مع أحد الفتيان الثقات لتسليمها إليه يداً بيد.

3- يذكر صاحب الرسالة أن المسلمين انهزموا في المعركة دون ذكر اسمها صراحة، ويكشف لنا صاحبها عن خبر لم نعثر عليه في المصادر التاريخية والأدبية التي وقفنا عليها، ويتلخص ذلك الخبر في إظهار ما يدل على ثبات صاحب مرسية آنذاك أبو يعقوب ينتان بن علي بن تاشفين أمام العدو وصمد في وجهه ولم ينهزم من أرض المعركة كما تذكر المصادر المطبوعة، بل ظل ثابتاً يقاتل بشجاعة، ويبدو من خلال ما ورد هذه الرسالة أن الجيش المرابطي أحجم عن القتال والمنازلة، ولم يبذل أية محاولة للهجوم والقتال، بل كان جل تفكير ضعاف النفوس من الجند ينحصر في كيفية الهروب والانسحاب من أرض المعركة، وقد أشار الكاتب إلى ذلك بقوله: "والخيل منهزمة، والهمم عن لقاء العدو محتجمة". غير أنَّ والي مرسية ظل ثابتاً يقاتل ببسالة، ولكنَّه اضطر أخيراً إلى الفرار مع القلة الذين كتبت لهم النجاة.

4- يظهر من خلال قراءة بعض سطور الرسالة أن المعركة التي وقعت بين المرابطين والنصارى كانت عنيفة جداً، وقد لخص لنا كاتب الرسالة نتيجة المعركة وما آلت إليه، فانتهت بتسليم المحلة التي تعرضت للنهب، كما سلبت مجموعة من دواب الحمل، وصور لنا صاحب الرسالة كيفية قيام خيل النصارى بسحق كلّ من وقف في طريقها، وشاءت حكمة الله أن كتبت السلامة لبعض أمراء المرابطين وعدد من أفراد الجيش الذي تمكنوا من الهرب نظراً لانشغال النصارى في النهب والسلب وأخذ الغنائم.

5- من المعلومات الجديدة التي تكشف عنها الرسالة هو أن المسلمين لم ينهزموا في المعركة نتيجة ضعف المدد وقلة العدد كما ظنَّ البعض، بل السبب في ذلك يعود إلى سوء التدبير والتخطيط الجيد لإدارة الأمور في أرض المعركة التي أجبروا على المنازلة فيها، بعد أن كان ألفونسو الأول قد ضرب

حصاراً على كنتدة، وعندما وصل الجيش المرابطي طلب منهم الوقوف للحرب والمنازلة هناك، فهم لا يعرفون طبيعة المكان وتضاريسه جيداً.

فهذا الكلام يناقض ما ذكره الدكتور طارق السويدان الذي نقل كلاماً عن بعض المؤرخين الذي أشاروا إلى أنَّ سبب الهزيمة يعود إلى نقص الإمداد للجيوش المرابطية وقلة أعدادها. غير أنَّ الدكتور السويدان لم يذكر لنا من هم أولئك المؤرخين الذين استقى منهم تلك المعلومات، التي تشير إلى أن سبب انكسار المرابطين يعود إلى ضعف الموارد وقلة العدد نظراً لبعدهم عن أراضي المسلمين، في حين كان عدوهم يتلقى المدد والعون ليس فقط من المقاطعات النصرانية الموجود في الأندلس بل كانت أوربا تمدهم بشكل مستمر بكل الموارد البشرية والطبيعية، وكان البابا يحرض الملوك والأمراء على ضرورة محاربة المسلمين. ولا ندري من أين استمد الدكتور السويدان تلك المعلومات التي تخالف ما وجدناه فيما كتب صاحب الرسالة الذي أكد بأن المسلمين لم ينكسروا من ضعف مدد ولا نقص عدد ولكن هي إرادة الله الناجمة عن سوء التدبير والتفكر في العواقب(65).

6- تناقلت المصادر العربية خبراً يشير إلى استشهاد الفقيهين أبي علي الصدفي وابن الفراء، غير أنَّها أحجمت عن ذكر الشخص الذي نقل هذا الخبر، ويأتي الكشف عن هذا الخبر في سياق الرسالة التي كتبها ابن شبل والتي أكّد فيها على أنَّ الذي أعلمه بهذا الخبر هو أبو بكر بن العربي بقوله: "وأعلمني الفقيه أبو بكر بن العربي عند قدومه علينا". فهذه العبارة تؤكد على أنّ ابن شبل كان حياً في تلك السنة التي حدثت فيها المعركة، ونجد في العبارة السابقة الدليل القاطع على اللقاء بابن العربي الذي كان مشاركاً في المعركة، ومعنى ذلك أنه استقى المعلومات من شاهد عيان رأى رؤية العين ما حدث في المعركة، وهذا ما يزيد تثبتاً في مصداقية ما كتب ونقل. ويرجح الباحث أنَّ اللقاء كان في شاطبة التي مرّت بها الجيوش المرابطية المنسحبة إلى بلنسية، وإن كنا نستبعد الرأي القائل بأنَّ اللقاء والإعلام بهذا الخبر من الممكن أن يكون في بلنسية استناداً إلى الخبر الذي نقلناه عن بعض المصادر العربية التي لخصت لنا ما آل إليه حال المرابطين في القولة التي نسبت إلى ابن العربي الذي عبر فيها عن خسران كل شيء كما بيناه في موضع سابق.

الهوامش:

1- مدينة من أشهر مدن إسبانيا في شرق الأندلس. كان يطلق عليها المدينة البيضاء لكثرة حصها. ينظر: الروض المعطار للحميري، ص 317.

2- أحد الملوك الأسبان ينحدر من أستورياس، ولد سنة 693، وتم تعيينه ملكاً في العام 730، خاض حروباً طاحنة مع مسلمي الأندلس، وقد ساهمت تلك الحروب في مضاعفة مساحة مملكته. مات سنة 756 في أستورياس. ترجمته: "Alfonso I" en Enciclopedia Universal IlustradaEuropeo Americana, IV, p. 587.

3- كنتدة: تكتب بالقاف أو بالكاف، وهي تقع بالمقربة من دروقة (Daroca) من أعمال مدينة سرقسطة. معجم البلدان لياقوت الحموي، 310/4.

4- مدينة من أهم قواعد شرقي الأندلس، هي الآن على البحر الأبيض المتوسط. الروض المعطار للحميري، ص 97.

5- مدينة عظيمة في شمال الأندلس، تبعد عن قلعة أيوب نحو 35كم. الروض المعطار للحميري، ص 235.

6- قلعة أيوب: مدينة حصينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس، من أعمال سرقسطة التي تبعد عنها حوالي 87 كم، تقع إلى الشمال الشرقي من مدريد، تنشر في أراضيها الأشجار والأنهار والمزارع، ولها عدة حصون. معجم البلدان لياقوت الحموي، 390/4.

7- ينظر: دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين" لمحمد عبد الله عنان، ص 90.

8- ينظر: الغنية للقاضي عياض، ص 131، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي لابن الأبار، ص 16، الصلة لابن بشكوال، 237/1، الكامل في التاريخ لابن الأثير، 666/8، البيان المغرب لابن عذارى، 308/1، تاريخ الإسلام للذهبي، 369/35، نفح الطيب للمقري، 460/4، أزهار الرياض للمقري، 154/3.

9- حسين بن محمد بن فيره، قاض محدث كثير الرواية، من أهل سرقسطة، رحل إلى المشرق، ثم عاد إلى الأندلس واستقر في مرسية. مات سنة 1120/514م. ترجمته: المعجم لابن الأبار، ص 16، الغنية للقاضي عياض، ص 129، الصلة لابن بشكوال، 235 -237.

10- ينظر: الغنية للقاضي عياض، ص 131.---- 11- ينظر: الصلة لابن بشكوال، 237/1.

12- أحمد بن علي بن أحمد الأنصاري. من أهل غرناطة. أصله من جيان ــ من أعلم الناس بالعربية وحفظ القرآن، مات سنة 540 وقيل سنة 542هـ. ترجمته: المعجم لابن الأبار، ص 31، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، 83/1.

13- الخضر بن عبد الرحمن بن سعيد القيسي، من أهل المرية، من أكثر الطلبة أخذاً عن أبي علي الصدفي. مات سنة 540هـ. ترجمته: المعجم لابن الأبار، ص 85.

14- أبو عبد الله محمد بن سعيد الغساني، عالم ثقة فاضل من أهل مالقة. كان مهتمّاً بجمع الكتب الفريدة والنّادرة التي لم يكن يملكها أحد سواه، وكان كثير المطالعة حتى قيل إنّه لا يكاد يوجد كتاب فريد في مكتبته إلاّ وخطّه عليه. ترجمته: أدباء مالقة لابن حميس، ص 107؛ التكملة لابن الأبار، 44/2، الذيل والتكملة للمراكشي، 212/6-213.---- 15- المعجم لابن الأبار، ص 16.---16- ينظر: أزهار الرياض للمقري، 154/3.

17- ينظر: نفح الطيب للمقري، 92/2؛ 460/4.

18- مدينة تقع شرقي الأندلس على نهر شقورة، كانت قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن الثاني الأموي. الروض المعطار للحميري، ص 539.

19- ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، 586/10.---- 20- البيان المغرب لابن عذارى، 308/1.

21- تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث ووفيات سنة 511-520 هـ، ص 369.---22- السابق، حوادث ووفيات سنة 511-520 هـ، ص 285.----23- سير أعلام النبلاء للذهبي، 40/20.----24- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، 42/4-43.

25- المعجم لابن الأبار، ص 16.----26- ينظر: المعجم لابن الأبار، ص 17، أزهار الرياض للمقري، 154/3.

27- Ubierto Artur, Tablas teóricas de equivalencia diaria entre los calendarios islámico y cristiano, p. 291.

28- لم أعثر له على ترجمة فيما توفر لدي من مصادر.----29- سير أعلام النبلاء للذهبي، 40./20

30- تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث ووفيات سنة 511-520 هـ، ص 285.

31- أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين، أمير المسلمين بمراكش، وثاني ملوك المرابطين، ولد بسبتة وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه، جاز إلى بلاد الأندلس مجاهداً سنة 503هـ في جيش يزيد على مائة ألف فارس. مات سنة 537هـ. ترجمته: المعجب للمراكشي، ص 144؛ روض القرطاس لابن أبي زرع، ص 157، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول، ص84.---32- الكامل في التاريخ لابن الأثير، 586./10

33- يؤيد ذلك الخبر الذي استقيناه من ابن أبي زرع الذي أشار إلى العبور الثاني لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عندما تلقى خبر تغلب ألفونسو الأول على بلاد شرق الأندلس واستولى على أكثرها في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. روض القرطاس لابن أبي زرع، ص 163.

34- ينظر: الغنية للقاضي عياض، ص 131، أزهار الرياض للمقري، 153/3، نفح الطيب للمقري، 460/4، المعجم لابن الأبار، ص 16.

35- أبو إسحق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، يعرف بابن تَعَيَّشْت، اسم أمه، ولي مرسية، ثم انتقل إلى ولاية إشبيلية، وهو الذي تولى قيادة جيش المرابطين في موقعة كتندة. مات مقتولا على طريق سِجِلْمَاسَة في المغرب. ترجمته: المعجم لابن الأبار، ص 62، الأعلام للزركلي، 34/1.

36- ينظر: دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان، 103/3.

37- هو محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي المعروف بابن العربي. قاض ومجتهد من حفاظ الحديث. مات سنة 543هـ. ترجمته: الوافي بالوفيات للصفدي، 431/1، البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزأبدي، ص 106.

38- المعجم لابن الأبار، ص 17، أزهار الرياض للمقري، 154/3، نفح الطيب للمقري، 460/4.

39- الكامل في التاريخ لابن الأثير، 586/10.---40- المعجم لابن الأبار، ص 17.

41- أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري، المعروف بابن القطان، من كبار حفاظ الحديث، أصله من قرطبة. أقام زمناً بمراكش، ولي القضاء بسجلماسة، من كتبه بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام. مات سنة 628هـ. ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي، 228/16، الأعلام للزركلي، 331/4.---42- البيان المغرب لابن عذارى، 308/1.---43- نفح الطيب للمقري، 460/4.

44- تاريخ الإسلام للذهبي، حوادث ووفيات 511-520 هـ، ص 285.---45- سير أعلام النبلاء للذهبي، 41./20

46- محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا. قاضي المرية، كان رجلا صالحا دينا متواضعا. استشهد في وقعة كتندة سنة 1220/514. ترجمته: الصلة لابن بشكوال، 542/1، تاريخ الإسلام للذهبي، 376/35. ---47- ينظر: المعجم لابن الأبار، ص 16، أزهار الرياض للمقري، 154/3، نفح الطيب للمقري، 460/4.----48- ينظر: المعجم لابن الأبار، ص 17، أزهار الرياض للمقري، 154/3.

49- الذهبي، سير أعلام النبلاء، 41/20. أشار ابن أبي زرع أن ألفونسو الأول استولى على قلعة أيوب سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. روض القرطاس لابن أبي زرع، ص 163.

50- Francisco Codera y Zaidin, Decadencia y Desaparicion de Los Almorávides en Espaáa, p.125.

51- Canada Juste, Alberto.- La batalla de Cutanda (1120) en: XILOCA, P. 40.

52- Canada Juste, Alberto.- La batalla de Cutanda (1120) en: XILOCA, P. 40.

53- Julio Porres, Los Anales Toledanos I y II, p. 105.54---- Jacinto Bosch Vilá, Los Almoravide, p. 195-196.----55- Canada Juste, Alberto.- La batalla de Cutanda (1120) en: XILOCA, P. 40.

56- ولد في سرقسطة في العام 1512، من أفضل المؤرخين في مملكة أرغون، عمل سكرتيراً لمحاكم التفتيش في مدريد، وعمل سكرتيرا للملك فيلب الثاني، مات سنة 1580. ترجمته:.Bordejé, Galería de personajes españoles, p.689

57- أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، الخليفة الموحدي الرابع، لقب بالناصر لدين الله. عاش ما بين 576- 610هـ، بويع له بعد أبيه سنة 595هـ، في عهده كانت موقعة العقاب التي هزم فيها المسلمون. دامت خلافته ست عشرة سنة إلا شهراً. ترجمته: المعجب للمراكشي، ص 226، الحلل الموشية لمؤلف مجهول، ص 160.

58- الكونديجيارمو: مؤرخ فرنسي ولد في نحو (Préaux) حوالي سنة 1020، بعد أن أنهى دراسته أصبح راهباً، كتب كتاباً مهماً عن تاريخ القرن الحادي عشر الميلادي أسماه (Guillermo el Conquistador). ترجمته: "Guillermo" en *Enciclopedia Universal IlustradaEuropeo Americana*,XVII, p. 262.

59- Canada Juste, Alberto.- La batalla de Cutanda (1120) en: XILOCA, P. 39.

60- Canada Juste, Alberto.- La batalla de Cutanda (1120) en: XILOCA, P. 40.

61- Canada Juste, Alberto.- La batalla de Cutanda (1120) en: XILOCA, P. 41.----62- Julio Porres, Los Anales Toledanos I y II, p. 105.----63- Jacinto Bosch Vila, Los Almoravide, p. 195-196.

64- سورة آل عمران، الآية: 160.----65- الأندلس التاريخ المصور لطارق السويدان، ص 317.

Abstract: **A Recent Recovery of a Historical Document on the Battle of Kutanda**

We seek in this article to show the historical context and new information which is revealed by a most ancient historical documents we came across during our investigation of one of the Andalusian manuscripts. The document is a historical letter which reveals a side of the mysterious news related to Kutanda Battle when the Almoravid Army was annihilated. Accordingly, there were three focal points of research; the first one was looking into Arabic resources for any information regarding this battle especially those resources, which address the time of the battle along with the incidents that accompanied it and its outcomes. The second focal point was looking into Christian resources to identify the way it dealt with the news about the same event for the purpose of holding a comparison between the different narrations located in these resources. The final focus was on a display and analysis of the historical letter along with a summary of its main contents.